

# النورُ ضعيفٌ في كسارِ ستّة

## قصّة بقلم ركون بولص

سألني فجأة ، وتركني في مكاني لا اعرف ما اجيب به عليه .  
ماذا افعل هنا ؟ أزحت السؤال الى جانب مؤقتا ، وكانت رغبتني  
قد تدلت الان في داخلي ، عاجزة فارغة . لم يكن الماء يفيدني فسي  
شيء . والان وقد ابتعدت عما كنت اكرهه ، لم اشعر بالحاجة الي  
التساؤل . وهل افادتي القرب من الميناء الذي كنت احلم ان اقف فيه  
ليلا ؟ وما جدوى ان اكون وحيدا تماما ؟ لقد اردت ذلك .  
- ذلك ما اريده الان ايضا .

رددت في نفسي بعزم ، ساحقا قلقي كتملة . وكنت قد تجولت  
طويلا وجلست في ثلاثة مقاه . وحاولت ان اتحدث الى اشخاص عديدين  
كانوا يجيبون على اسئلتي جميعا باللغة مصطنعة تشعرني حالا بانني  
غريب . وفي تجوالي ، ظهر لي بشكل مؤذ وعنيف ذلك الدم الذي  
كنت احاول تغطيته في المدينة الاخرى : هنا ، ايضا ، توجد الدنساء  
والخصومة ولكنني لم اشتبك بعد لانني لم اقرر الاستقرار ، ليس الام  
هنا ، أي شيء كنت اتوقعه اذن ؟ وشعرت بالدناءة تفرني مع احساسني  
بالشعب - فلا ريب ان الغداء كان جيدا .

ورفع الماء حرارة زيتية لفحنتني . وحملتني الخطوات البطيئة  
التي كانت تصدر من قدمي - الى حيث فارقتي البحار السويدي قبل  
ساعات ، محتكا ببذلات بشرية وشاقا روائح قمامة تطفو في الماء ،  
وانعظفت ، وكانني أسير عائما ، الى زقاق كانت فيه امرأة ملغمة بعباءة  
تخاطب رجلا لم أتبين وجهه .

خرجت ثانية الى الطريق المنفلت من المدينة نحو القرى . وحين  
عدت ، كان الباب لا يزال مفتوحا والحصان منهكما ، وقد خفض عينيه  
يمضغ محتويات كيس كان قد ربط حول فكيه الطويلين . وقبل ان  
ادخل ، رأيت ساقني سروالي متصلان بحذاءين غاليين . ورأيت .  
- ما الذي آتى بك الى هنا ؟

ولم ادعش كثيرا . ولكنني عجبت من شيء :  
- كيف عرفت مكاني ؟  
- وهل لك مكان اخر ؟

اجابني ، ونفت دخان سيجارة في الفراغ . دنيء ، دنيء . لقد  
فكر بالفلاح على انه قريبي الوحيد في هذه المدينة ، وعرف . كسنت  
في المنفضة عدة سجائر .

- ماذا تحاول ان تفعل بربك ؟

خاطبني بهدوء ، واعتدل في جلسته :

- لعبة قديمة لم تانف من ممارستها ! ولكنك عرفت الان بدون  
شك انها لا تفيد .

- ما الذي لا يفيد وماذا يفيد ؟

ضحكت بتعب ، ونظرت الى النافذة المفتوحة حيث الحصان  
الصامت ذو العينين المفتوحتين . قال :

- ستاتي ، اليس كذلك ؟

بثقة ، بثقة يتكلم القبي . وقلت بثقة مساوية :

- لم تصل بعد الى حد ان يمكنك اقتاعي .

وكشفت أسناني :

- لست اكثر من اخي زوجة . ماذا يستطيع ان يفعل اخو زوجة؟

واخذت ابتسم له باحتقار . وعرض سيجارة :

- ومن قال انه يريد ان يفعل شيئا ؟

- اذن ما الذي يفعله هنا ؟

قفيت اربعة ايام في شقة المرأة ، ثم فررت ، وحين استيقظت في  
سرير الفلاح لم أجد في الغرفة أحدا . ونهضت من السرير فرايست  
في النافذة راس حصان . وحرك الحيون عنقه الطويل فاخفى الراس  
وراء حافة جدار . وغسلت وجهي ثم مشطت شعري ببطء وانا احاول  
ان امدد الوقت بأية طريقة . ولكنني أحسست بالضجر من العمليسة  
فارتديت ملابسني واحترت ماذا افعل قبل انذهاب ، هل اقبل بساب  
الغرفة وماذا افعل بالمفتاح ؟ كان الفلاح غائبا وخمنت ان العسادة ان  
يترك الباب مفتوحا ، عن ثقة فرصتها الظروف . وخرجت ووجهتني  
الميناء . ولكن الطريق كان طويلا ، لذلك انحرقت في مسيري وسرت  
قليلا حتى انخرطت بخطواتي في الطريق العنام ، واخذت انظر عبور  
سيارة . ظهرت واحدة .

وفي الميناء هبطت . ماء شاسع ، نظيف . وشممت بكل عروق  
أنفي . لقد انتظرت زمنا طويلا ، وكنت انخلل ، لارى هذا المشهد .  
تجولت قليلا من غير ما هدف ، وقد ملاني الشعور بجوار الماء . وفي  
البيوت القديمة . كنتي كانت تنجني على الماء كحيوانات مسنة منهكة ،  
ميزت حياة سرية تجري رغم كل شيء . وجرفنتي الرغبة . لا شسك  
انني كنت ابدو صغيرا غير نافع ، كقوقعة فارغة ، كورقة يابسة وانا  
تحت انظار البشر الذين كانوا مستقرقين في عملهم ، هناك . دخنت  
قليلا ثم شعرت بجوع وبذرت وجوب تناول بعض الطعام . وهل اقصي  
الصباح في المدينة ؟ لم لا . وهل افعل شيئا خارقا ، فظيما اذا امكنتي  
ذلك ؟ لم لا ، لم لا . وسرت بخفة وانا اشعر ببذلتي توالف ما بين  
حركاتي وتنسقا ضمن نفسها كالفلاف .

اقرب رجل من المقهى ، سأل أحد الحاضرين بلغة اجنبية .  
لم يفهمه . وحرك رجليه بانجهمي ، لحية شغراء . وقبل ان يتفحصني ،  
صدمتني فكرة سارة : انه بحار اجنبي .  
- نعم ، اعرف الانكليزية . تفضل .  
جلس بمرح . وانتظر حتى انتهت من طعامي .  
- في الواقع ، كنت اريد احدا اكلمه .  
قال وهو يبتسم ، واكمل :  
- صديق . أنت تعلم .  
- نعم .

قلت ، ونهضت . في الطريق قال البحار السويدي فجأة :

- هل تعرف في المدينة مكانا ؟

ومر بيده على صدره وفخذه ، بحركة غير واعية . - « فيسه  
نساء ؟ » .

- تقصد بغايا ؟

وانظرت ايماءته - التي أعطاهاها بارتياح . عرفته : من حشالة  
اوروبا .

وضحكت : - غريب ، اسم البحار يرتبط دائما-بالبغي . دائما !  
وشاركني ضحكي ولحيته تهتز كشارة ذهبية .

- تعني في الافلام أليس كذلك ؟

وكف عن الضحك . اجابني باقتضاب :

- البغايا قدر البحارة . لا جدال في ذلك .

وأشرت مقترحا الى بيت واطىء كانت نوافذه مغلقة في وجه  
الصباح . وذهب خطوة ، ثم :  
- هل جربت المضاجعة صباحا ؟

كان الشاب قد اختفى . ودهشت حين فكرت به ، لقد بدا غريباً . وماذا كان يفعل في هذه المدينة اللاصقة بالبحر ؟ انه لم يكن مكاناً يتحمل ملامح تائهة كذلك التي تجعل من وجه الشاب منقذاً للسعادة . ولكنه غريب عني الآن ، يظهر ويختفي في ذهني كنسخة تمر تحت عدسة الذاكرة . وهل كانت هي نسخة ؟ استطيع أن اجزم ، ان المرأة الاخرى كانت كذلك . نعم . بشقتها الباردة واعضائها الرخوة . عرفت الان انها لم تكن غير وسيلة ساوية عن طريقها نفسي بزواجتي . خنت كل شيء بيأس وأفرت خيانتني في جسد تلك المرأة القريبة . وانزلقت في حفرة مزروعة ومسقية بالماء ، فقررت ان اجلس على الارض . لقد تساوينا اذن . لأول مرة فكرت بخيانتني انا . لقد هربت ولكنني لم آت الى هنا رأساً ، بل قضيت اربعة ايام بعيداً عن زوجتي في شقة تلك المرأة . هل كانت هي تعلم بوجود المرأة الاخرى ؟ لقد شكيت ، لقد قتلها الشك . كانت تهتم ، ولكنها خانت مرة . وكررت ذلك ، فسحقنتني عندما عرفت . هل كان ذلك تشفياً ؟ انتقاماً ؟ تساويساً ؟

هبط الليل على الميناء . وانفتحت على سطح البحر عيون من الضوء . سفن . ولكن هل كانت فكرة الالتجاء الى الميناء صدى طبيعياً خرج من اعماق فكري عن التحرر ، وبواسطتها كنت سأنقذ نفسي ؟ كم فكرت بأن الميناء واجهة للعالم ، تنعكس عليها نظافة البحر باستمرار فتختلف بذلك ، دائماً ، الحاجة الى الاغتسال والتطهر من ادران المكان ، وذلك بمجرد الوقوف امام المدخل المائي والامتزاج بالحركة الواضدة من البعيد : السفن والمسافرون والماء . أدرك الان ان السفينة لا يمكن ان تكون بيتاً بحرياً . وهل كان ذلك البحار القريب اذن يحتاج السى بفي بانسة او يربط مصيره دائماً بنساء غريبات في موانئ لا يعرف في أيها سيكون غدا ؟ ابتسمت بالرغم من نفسي .

قلت ، وكنت خائراً بعد ان سرت طويلاً حتى استغرق النهاسر نفسه وخمنت انها الساعة السادسة تقريباً . ومن كان ذلك البحار واين كانت سفينته ؟ تلك هي ؟ لم تكن غير بقعة ضعيفة تتأرجح فوق مستوى الماء ، كدبوس ذهبي في زجاجة حبر . وفي المقي ، رأيت صبياً نانماً على مصطبة . كانت تنتظر ان اعود اذن لانها تحمل مخلوقاً في احشائها ، حاراً ينتظر ان ينفصل عن جوفها ، ولا يعني شيئاً قبل ذلك وبدون ذلك . ارتعشت في رطوبة البحر .

في أي فندق كان الشاب قد نزل ؟ كانت بيوت صامته تحمل جدرانها تواريح حزينة لاناس ناموا وراءها ، منفصلين عن العالم بأفعالهم ورغباتهم ، وخانوا ايضاً ومزفوا مصانهم ورحلوا . بيوت . بيوت . وفي النهاية كان كل شيء ، بالرغم منهم ، متوازي ، مساوي . والماء ينفس عن اعماقه دائماً وطيلة هذا الوقت بحركته الواحدة المألوفة ، تحت قواعد البيوت الرطبة المفطاة بطحالب البحر . لم أسر طويلاً ، فلم تكن لي قدرة على ذلك بعد . وجلست انظر الى كتلة المياه السوداء ، تخفق دون غاية وتصرب جدار الميناء كأنها تكرر رغبة خرساء لا يمكن تحقيقها . ماء وأصوات بعيدة .

سر كون بولص

بفداد

لجميع مطبوعاتكم :



بيروت - تلفون : ٢٣٠٥١٢

صحت ، ولم يفاجأ بقصبي .  
- ساذهب عما قليل . ولكنني ذنرتك باللعبة السخيفة التي كرتها للمرة الثانية . حصل هذا بلا شك ، والدليل هو وجهك .  
- « وجهي ؟ » وطمانت ، من الداخل ، نفسي لتهدأ .  
اخذت اضحك باستهجان . ولكنني في سري كنت اتساءل بغيظ عن سبب شعوري بالحرج . وقال :  
- انها تنتظر .  
لم اجد . خفض الشاب رأسه .  
- انها تنتظر مولوداً ايضاً .  
ولم ينظر الي . انحرقت نحو السرير ، كنت قد ذهلت . وقلت بهسوء :

- سيجارة . اعطني واحدة .  
فأشعلها لي قبل ان يعطياً ، كما يفعل المرء مع شخص مريض . لم اتكلم ، فلم يكن في نفسي ، ان ، غير سكوت شاذ مرعب . ومشيت نحو النافذة . كانت دائرة من الماء تحيط بعين الحصان الكبيرة . وهتفت وانا اشير الى انحصان :  
- انظر الى هذا الفبي . انه يبكي .  
واخذت اضحك بهستيريا . لم ينظر الي . خجلت فحاة .  
وأفزعتي الصمت ، صرخت وانا انفجر دون ان املك السيطرة على نفسي :  
- ولكن لماذا كان عليها ان تفعل ذلك ؟ هل سألتها ؟ هل سألتها أيها الوجد قبل ان تأتي لتعيديني ؟  
وأوليته عيني المفتوحين على وسهما . أوليته وجهي السذي تفلش اخيراً ، كتلة ذعر .  
- ولماذا خانت بالله ؟  
أخذت أعوي بكل صوتي . فنهض من مكانه وأخذ يحاول تهدئتي .  
- لماذا خانت ، ألم تقل لك ؟ كأي ساقطة .  
تحدثتني ان يأتي بآية حركة . واخذت اردد اقوالي مهوساً بعذابي الخاص . ثم تماكنت نفسي وذهبت الى الزاوية حيث الماء ففسلت وجهي .

وقلت بصوت مختلف وبهدوء :  
- انت تعرف كل شيء . واذا أحس رجل بأن زوجته تخونه فله الحق في ان يذهب بالطبع . ان يسافر نحو الجحيم . ان يلعب اية لعبة يشاء .  
ومخبط أنفي .  
- هيا . سافر الان .  
- وانت ؟

جابهني بعينه اللتين اختفى منهما الذكاء المصطنع فجساة . وحتى انه لم يكن يدخن الان ، وكان يتظاهر بذلك ليخفي توتره ويبدو قوياً بلا شك . أحسست برغبة جارفة في الاستسلام للشفقة على النفس . ولم اكن اريد ان اندم بسرعة . واجهته . عرفت انها لحظة حاسمة . ولم أستطع ، فتخادلت . وأخفيت وجهي في السرير . قال الشاب باضطراب :

- ساذهب . ولكن ارجوك ان تعود ، وان لم يكن معي . ونخست حنجرته سعلت ، كان الصمت حاداً . ووقف دقيقة . ثم ذهب . ظللت راكضاً على وجهي في السرير وانا أتفلس رائحة جسد الفلاح . وفاء في داخلي طوفان ملاء اعصابي فجاة بحاجة عظيمة للتعب . ووثبت من السرير ، فأخذت أمشط شعري بدون وعي . ولم اكن اعرف لاي شيء انهيأ ، ولكنني كنت استيقظ بكل حواسي . وخرجت من الغرفة فذهبت الى حيث الحصان ، عرفت الان لماذا كان الحيوان المسكين لا يستطيع الحركة ، لانه كان مربوطاً بوند غائص في الارض . اكتشفت ذلك لأول مرة كائني اكتشف الوند الذي ربطوني به . وملأني رائحة الحيوان الريححة بشجن صبياني . ولكن لماذا فعلت التافهة ذلك وبأي حق ؟ وانطلقت أسير دون غاية .